كمال علي حسان*

# المدرسة التلمودية :
# اليشيفاه ومكانتها في الدولة والمجتمع الإسرائيلي

## مقدمة

تعتبر العقائد الدينية والمنظومات الفكرية المختلفة من أهم العوامل لفهم السلوكيات الفردية والجماعية عند الأمم والشعوب وعلى مر العصور . وفي أيامنا نلاحظ مدى التداخل والدمج بين عقائد، فكرية دينية كانت أم دنيوية، وبين الممارسة الحياتية اليومية وعند جميع الشعوب، حيث تختلف المجتمعات والديانات لتشكل بمجملها مزيجا معقدا من الأفكار والمعتقدات أثرت أحداث جارية على بلورتها وصياغة أشكال ظهورها .

يتميز المجتمع الاسرائيلي بطبيعته بالتعددية الدينية التي تنعكس على إطار جهاز التعليم، الذي يمكن تقسيمه من حيث أنواع المدارس إلى أربع مجموعات: مدارس رسمية يدرس فيها غالبية التلاميذ، مدارس رسمية دينية ترتكز على الدراسات اليهودية والتقاليد والطقوس الدينية، المدارس "العربية والدرزية" (جهاز التعليم في اسرائيل يفصل بين الدروز والطوائف العربية الأخرى – المحرر)، والمدارس الخاصة التي تعمل تحت إشراف هيئات دينية دولية مختلفة. وان كان موضوع مقالنا هذا يركز على المدارس اليهودية الدينية منها، وذلك لتعريف القارئ على المؤسسة التي تخرج منها مئات الآلاف من الطلاب الذين درسوا وتبلورت أفكارهم داخل المدارس الدينية أو اليشيفوت ومنذ قيام دولة اسرائيل .

شكل النقاش حول علاقة الدين والدولة في إسرائيل الإطار النظري لكتابة المقال، حيث تتمثل سبل دعم أو تحديد نفوذ ونشاط المدارس الدينية بحدة النقاش في التيار العلماني المؤيد لقبول وإدخال مفاهيم وعلوم جديدة وحديثة إلى مضامين التدريس في المدارس الدينية، ومن جهة أخرى بمدى قبول أو رفض الأحزاب الدينية التي

*باحث يعد لنيل شهادة الدكتوراه في قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة حيفا.

**ويعد مقتل رئيس الحكومة اسحق رابين في العام ١٩٩٥ مثالاً حديثاً لانعكاسات هذا الصراع بين توجهات رابين العلمانية من اجل حل للقضية الفلسطينية وبين التيار الديني الذي مثله القاتل يغئال عمير. فقد كانت دوافعه للقتل ايديولوجية تعكس مدى وحقيقة ايمانه بحلم "ارض اسرائيل" دون تنازل عن أراضٍ لصالح الفلسطينيين، حيث دلت معظم المؤشرات على مساعي رابين لاقامة دولة فلسطينية.**

تعتبر الراعي الأساسي لنظام اليشيفوت في إسرائيل بالإضافة للمشاركة في النظام البرلماني، والحكومة الإسرائيلية الداعم المركزي لميزانية اليشيفوت.

وقد استخدمت منهاج البحث التفسيري الذي يعتمد النموذج الادراكي لعرض المواد والمعلومات، اذ يعتبر هذا المنهج ان المواد تشكل مواد خاماً يختلف وقعها وتأثيرها عند القارئ او المتلقي وبالتالي تشكل مصدرا أساسيا للتحليل وبناء الصورة الواضحة عن اليشيفاه، وهو موضوع المقال الذي يتناول: مقدمة وتعريفا باليشيفاه، منهاج البحث، الاطار النظري، التطور التاريخي ومجتمع الدارسين في اليشيفاه، مضامين التدريس، ميزانيات اليشيفوت، وتلخيصا للمقال .

## منهاج البحث

يعرض المقال سرداً وتقديماً لاهم مركبات اليشيفاه في العصر الحديث على انها مادة خام ونموذج ادراكي يمكن ان يحدد عن طريقها مفهوم ودور وتأثير الفكر والتراث اليهودي على وفي داخل المجتمع الاسرائيلي. فنحن لا ندرك الواقع الا من خلال النماذج الإدراكية .

يرتبط هذا المنهاج في البحث بأسلوب التفسيرية التي تنطلق " من أن العقل الإنساني ليس سلبيا ولا متلقيا بل مبدع وله مقدرات توليدية ، وان الواقع ليس بسيطا ولا جامدا ، وان ما نرصده فيه مجرد مادة خامة. هذا الواقع له مستويات مختلفة ودوائر متداخلة متصلة منفصلة ، ولكل ظاهرة منحاها الخاص وسماتها الفريدة، والعلاقة بين العقل والواقع ليست بسيطة ولا آلية ، فالفاعل الإنساني لا يستجيب مباشرة للعامل المثير، وإنما يستجيب للمثير كما يتصوره هو نفسه . [١]

من أهم شروط الالتزام بمنهج التفسيرية الابتعاد عن التعميم المطلق وعن الصور النمطية والصيغ الجاهزة التي لا تفيد كثيرا في الفهم المتعمق للظاهرة ، ولا تقدم خريطة تفصيلية تشمل كل أبعاد الواقع تنفعنا في الممارسة اليومية، ورفض التعميم لا يعني رفض كل مستويات للتعميم، فالمطلوب هو الوصول الى مستوى تعميمي معقول يمكن قراءة الواقع المركب من خلاله . ولهذا شكلت اليشيفاه – موضوع مقالنا هذا– نموذجا إدراكيا وخريطة إدراكية تثبت وتنفي .

كتب المسيري عن منهج التفسيرية والنموذج الادراكي فيها: ان استخدام النماذج أمر حتمي لإدراك الإنساني ولإجراء أي بحث . وإذا كان الأمر كذلك فمن المستحسن أن ندرك ذلك، وان نحسن من أدائنا شريطة أن ندرك دائما أن ما نقوم به هو تكتيك بحثي وحسب ، وان النموذج أمر حتمي في عملية الإدراك ( وهذا ما نسميه " النموذج الإدراكي " ) وانه لتحليل سلوك البشر لابد أن نحاول الوصول إلى هذا النموذج ونجرده ونستخدمه في تفسير سلوكهم ( وهذا ما نسميه " النموذج التحليلي " ) .[٢]

في مقالنا هذا تركيز على تعريف القارئ لماهية ودور اليشيفاه ـــكنموذج ادراكيـــ في انتاج حراك اجتماعي وسياسي عن طريق الخريجين من هذه المدارس، ومن ثم انخراطهم داخل المجتمع والنسيج الاسرائيلي.

## التعريف

يلاحظ ان التعليم الديني ومؤسساته في اسرائيل حافلة بالاسماء، والتي ترجع في اصولها الى مصطلحات من الديانة اليهودية. اما القاسم المشترك لجميع المؤسسات الدينية المختلفة في اسرائيل فهو اتفاقها على مبدأ اساسي هو كونها تحمل رسالة تلمودية ترغب بنقلها او تمثيلها وفق اهداف واليات عمل. اليشيفاه توصف بانها ( حلقة ) لتجمعات المتثقفين والمتفقهين في الدين ممن يتدارسون النصوص والتراث الديني اليهودي ذي الطبيعة المزدوجة علما وشريعة ، ويجيبون عن الأسئلة ويصدرون الفتاوى ، ويقضون

**لاقت التيارات التي تحاول مركزة العلمانية كتيار يتقبل الغير ويتعامل معه على درجات مختلفة من التحرر، وتحييد الدين او تحديد التعامل وفقه من جانب آخر، لاقت مواجهة وصلت الى حد العنف والقتل من قبل من يؤمن أن الدين اليهودي مصدر الحاكمية**

بين الناس . وفضلا عن هذا ، كان هناك بعض الطلبة الذي يتلقون الدروس .

هنا نتناول مؤسسة تعليم الديانة اليهودية التي تسمى في اللغة العبرية: اليشيفاه (Yeshiva) وتعرف لغويا على حالتين: الاولى هيئة جلوس الشخص، والثاني مؤسسة لتعليم الديانة اليهودية. فقد كتب عبد الوهاب المسيري في تعريفها " بالعبرية يشيفاه وجمعها يشيفوت هي معاهد للدراسات الحاخامية أي لدراسة التراث الديني اليهودي. كما يطلق عليها اسم "الحلقة التلمودية" وهي مؤسسة فقهية وتربوية يهودية يشار إليها في العبرية بكلمة "يشيفا" ،كما تستخدم أحيانا كلمة " أكاديمية " ذات الأصل اليوناني أو كلمة "مثبتاه" ذات الأصل الآرامي. وقد كان الدارسون في بعض هذه المدارس التلمودية يقضون جل وقتهم في الدراسة ، لذلك كان على زوجة الطالب أن تعول زوجها لانفصال الدارس عن أي نشاط حقيقي في الحياة.

ويظهر عدم تحدد وظيفة "الحلقة" في التسميات العديدة لها، حيث تشير كل تسمية إلى وظيفة واحدة دون الأخرى . فقد كانت تسمى " يشيفا " ، أي " بيت الاجتماع " و " بيت هامدراش " أي " بيت الدرس " ، كما كانت تسمى " السنهدرين " و"بيت دين " ، أي " بيت القضاء " .[٣]

## الإطار النظري

يشكل النقاش القديم والمتجدد حتى يومنا هذا للعلاقة بين الفكر والسلوك بأشكاله مرجعا وإطارا نظريا لمفهوم العقائد والايديولوجيات وتأثيرها على أفكار وسلوكيات سياسية واجتماعية مختلفة. ففي مقالنا هذا والذي نناقش فيه أحد أهم مؤسسات تعليم القيم الدينية اليهودية، ومن ثم تذويت هذه القيم عند الدارسين، نحاول ان نكشف عن العلاقة وأساسا آلية عمل هذه المؤسسات ودورها في تذويت قيم دينية بين صفوف روادها من الطلاب، وبالتالي انخراطهم وتأثيرهم على مجريات الاحداث داخل المجتمع والدولة في اسرائيل .

كتب يسرائيل شاحاك: "ولما كنت بدأت في شبابي بدراسة الشرائع التلمودية التي تحكم العلاقات بين اليهود وغير يهود ، بات الأمر واضحا بالنسبة إلي ، وبالاستناد إلى هذه المعرفة التي اكتسبتها ، أن لا الصهيونية ، ولا حتى في جزئها الذي يبدو علمانيا ، ولا السياسة الإسرائيلية منذ ولادة دولة إسرائيل ، ولا سياسات مؤيدي إسرائيل ( اليهود ) ، في الشتات ، خصوصا ، يمكنها أن تكون مفهومة ما لم يؤخذ في الحسبان التأثير الأعمق لهذه الشرائع وللنظرة إلى العالم التي تخلقها وتعبر عنها في آن"، ويضيف شاحاك ان "السياسة الفعلية هي تفاعل بين الاعتبارات الواقعية (صحيحة كانت أم خاطئة ، أو برأيي ، خلقية كانت أم غير خلقية)، وبين التأثيرات الإيديولوجية التي تميل إلى أن تكون أكثر نفوذا كلما كانت مناقشتها أقل ، وكلما كان " جرها إلى تحت الأضواء" أقل .[٤]

وتتاكد حقيقة الصراع بين العلمانية واليهودية في اسرائيل عبر التاريخ، ففي زمن هجرة اليهود الاولى لفلسطين في العام ١٨٨٢ واجه القادمون الجدد صراعا عدائيا مع المهاجرين الاصليين الذين اتهموا القادمين الجدد بعدم تطبيق الشرائع الدينية في ظل حاجتهم لضمان استقرارهم الاقتصادي.[٥]

ويعد مقتل رئيس الحكومة اسحق رابين في العام ١٩٩٥ مثالاً حديثاً لانعكاسات هذا الصراع بين توجهات رابين العلمانية من اجل حل للقضية الفلسطينية وبين التيار الديني الذي مثله القاتل يغئال عمير. فقد كانت دوافعه للقتل ايديولوجية تعكس مدى وحقيقة ايمانه بحلم "ارض اسرائيل" دون تنازل عن أراضٍ لصالح الفلسطينيين، حيث دلت معظم المؤشرات على مساعي رابين لاقامة

في يشيفاه يهودية.

**وتبين أن ما يسمى باليمين واليسار في إسرائيل لا يخضع أي منهما لمعايير ثابتة وواضحة بل ثمة اعتبارات متعددة لتحديد ذلك أهمها، من حيث الهوية، تحديد الموقف من الدين، فإن الأحزاب التقليدية والمتدينة تبدو أحزاباً يمينية، مقابل الأحزاب العلمانية التي ترفع شعارات حقوق الإنسان والمساواة والتي تندرج في خانة اليسار.**

دولة فلسطينية.[٦]

ابرز من كتب حول الموضوع، هو المفكر اليهودي يشعياهو لايفوفيتش الذي يعتقد أن قيام دولة اسرائيل يعد من ابرز سمات الازمة والاشكالية في الدين اليهودي. ففي الجانب الاجتماعي يعتقد أن النقاش يتمركز حول فاعلية الدين ومكانته في تلبية احتياجات المجتمع، وهنا يعتقد المتدينون ان الدين اليهودي شامل لكل ما يحتاجه المجتمع، بينما يرفض العلمانيون هذا الادعاء. ومن هنا فان نقطة الالتقاء بين العلمانية والتوجه الديني حسب لايفوفيتش تكمن في ان الدولة او المجتمع والامة فوق هذا النقاش، وهو الامر الذي يجمع بين التيارين.[٧]

اما اليعازر بركوفيتش فيؤكد أن الوجود الفعلي وتحقيق قيام دولة اسرائيل يجسدان بكل المعاني المفهوم الديني لليهودية، فما قيام الدولة الا اثبات لحقيقة ايمان الشعب اليهودي بيهوديته، ومن هنا يعتبر الكيان الاسرائيلي من وجهة نظره كيانا يهوديا بكل ما يجمع من تناقضات.[٨]

يرى درور يحزقيل "ان فكرة اقامة دولة اسرائيل تعتبر تحقيقا للفكر الصهيوني المتمثل بالعودة الى ارض الميعاد، وهي تعتمد على الدين اليهودي، ويجب التعامل مع الدولة كمركز الشعب اليهودي الذي يحمل رسالة للعالم أجمع" .[٩]

هل تشكل دولة اسرائيل ازمة واشكالية دينية، وما هو تأثير الدولة وكيفية تعاملها مع الدين؟ يعتقد لايفوفيتش ان عدم التوصل الى إجابات شافية هي أزمة عند المتدينين، وقد واجهتها اليهودية كدين مع قيام دولة اسرائيل. ولهذا يعتبر لايفوفيتش بان المؤشر الحقيقي لمدى تطور واستفحال الازمة منوط بمدى الانصياع عند المتدينين لقانون الدولة والتزامهم فيه.[١٠]

ويعرض لايفوفيتش امثلة تؤكد على مدى انصياع التيارات الدينية لقانون الدولة عبر المشاركة السياسية من ناحية، ومن ناحية اخرى في جهدهم للقيام بواجبهم الديني مثل اقامة اليشيفوت ومعاهد تعليم الدين اليهودي. وهو يرمز الى حقيقة تسييس الدين التي اتبعتها الاحزاب الدينية التي تشارك في الانتخابات والبرلمان، حيث تسعى للحصول على موارد من الدولة وعن طريق الدولة لتحقيق غاياتها الدينية،[١١] ولكنه سرعان ما يستنتج ان هذه الديناميكية بين المتدينين وبين العلمانيين، في السياسة الاسرائيلية، ماهي إلا تأكيد أن دولة اسرائيل دولة علمانية ترعى وتستوعب بشكل قاطع المتدينين عبر مؤسساتها.[١٢]

لاقت التيارات التي تحاول مركزة العلمانية كتيار يتقبل الغير ويتعامل معه على درجات مختلفة من التحرر، وتحييد الدين او تحديد التعامل وفقه من جانب آخر، لاقت مواجهة وصلت الى حد العنف والقتل من قبل من يؤمن أن الدين اليهودي مصدر الحاكمية والقانون المسير لمجمل علاقات الانسان والمجتمع اليهودي في دولة اسرائيل. ويبقى الصراع بين العلمانية ويهودية الدولة موضوعا قابلا للظهور في قضايا مركبة، كحل للقضية الفلسطينية، وكذلك في مواضيع خاصة كفتح شارع في القدس لمرور السيارات في يوم السبت. مع ملاحظة ان قوة الرفض لقوانين الدولة بين صفوف المتدينين في اسرائيل ما زالت تحت سيطرة القانون الاسرائيلي، رغم تسجيل بعض الاخفاقات، مثل مقتل رئيس الوزراء اسحق رابين، ولهذا يمكن اعتبار دولة اسرائيل كنوع من "جمهورية فاضلة" بالنسبة لجميع اليهود في العالم، اذ تحولت الصراعات الايديولوجية الى صراع واختلاف بين تيارات حزبية وأثنية تعيش التضارب والتناقض بين انتماءاتها الأيديولوجية السابقة وواقعها الاستيطاني الجديد. فاليهودي الروسي الذي كان يهودياً أولاً وروسياً ثانياً في روسيا، عاد ليكون روسياً أولاً ويهوديا ثانياً في إسرائيل، وكذلك هي الحال بالنسبة للمغاربة والأثيوبيين وحتى الأميركيين والأوروبيين، لاسيما بعد أن انكشفت آليات التمييز الطبقي والاثني والثقافي وتهافتت شعارات الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وسواها. وتبين أن ما يسمى باليمين واليسار في إسرائيل لا يخضع أي منهما لمعايير ثابتة وواضحة بل ثمة اعتبارات متعددة لتحديد ذلك أهمها، من حيث الهوية، تحديد الموقف من الدين، فإن الأحزاب التقليدية والمتدينة تبدو

أحزاباً يمينية، مقابل الأحزاب العلمانية التي ترفع شعارات حقوق الإنسان والمساواة والتي تندرج في خانة اليسار.

في سنوات الستينيات تطورت الكتل الحزبية التي تضم اكثر من حزب وخاصة الاحزاب قليلة التمثيل، حيث تتفق فيما بينها على التوجهات الأيديولوجية بقيادة حزب كبير، واستقر الحديث بعد سنوات الستين على ثلاث كتل حزبية في اسرائيل: اليسار واليمين والاحزاب الدينية .[١٣]

كان العام ١٩٧٧ سنة مفصلية لنشوء واستقلال الاحزاب الدينية اثر "الانقلاب الانتخابي" الذي أدى الى سقوط الحزب الحاكم (العمل او العمالي) منذ قيام الدولة، فمع سقوطه فتح المجال لتاسيس مجتمع ديني عبر تأسيس احزاب دينية مستقلة، سرعان ما انقسمت فيما بينها.[١٤]

يتبين ان الصراع في داخل المجتمع الاسرائيلي يظهر جليا في فترة الانتخابات، حيث تشتمل الدعاية وتجنيد اصوات الناخبين على كم هائل من المضامين تؤكد الاجحاف والتمييز من قبل المؤسسة والقيادات الاشكنازية ضد السفارديم (الشرقيين). هذه الصراعات سببت الى حدّ كبير نشوء الاحزاب الدينية مثل حركة "تامي" بزعامة اهارون ابو حصيرة في العام ١٩٨١[١٥]، وفي جانب آخر أدى الصراع بين العلمانيين والمتدينين الى صراعات داخل الاحزاب الدينية ذاتها، حيث سببت انقسامات حزبية، لاقامة احزاب دينية تقوم على سلطة الرجل الواحد، مثلما حدث في حزب المفدال وهو الحزب القومي الديني، حيث أدت الصراعات داخل الحزب الى ظهور تيار ديني جديد معتدل نسبيا في مواقفه بزعامة الحاخام حاييم دروكمان .[١٦]

على ضوء ما تقدم، نجد اختلاط ألوان الطيف الحزبي والسياسي داخل دولة اسرائيل ، وزيادة حدة المنافسة والصراع بين أحزاب الخط الواحد، فشهدنا صراعاً علمانياً علمانياً (بين حزبي شينوي وميرتس) ودينياً دينياً (بين شاس ويهدوت هتوراه والمفدال) وصراعاً بين ممثلي الروس (مثل الصراع بين حزبي إسرائيل بعلياه وإسرائيل بيتنا). ونلاحظ أنه توجد أحزاب ذات مواقف ملتبسة ويصعب تصنيفها مثل حزب "شاس"، الذي هو حزب ديني شرقي، لكنه لا يقوم على أصوات المتدينين بالضرورة، بل على أصوات اليهود الشرقيين، وخصوصاً المغاربة ممن يقفون موقفاً وسطاً بين العلمانية والتدين، إنما تجمعهم معاناة الفقر والتمييز الأثني.

موقف هذا الحزب من عملية التسوية لا يصنف يمينياً ولا يسارياً،

في يشيفاه نيوجرسي بالولايات المتحدة.

بل هو موقف نفعي. والشاهد على ذلك أنه هدد بإسقاط حكومة رابين بالانسحاب منها احتجاجاً على اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ ثم هدد بإسقاط حكومة نتنياهو احتجاجا على تلكُّئه في تطبيق اتفاق واي ريفر، وهدد بإسقاط حكومة باراك إذا انسحب من الجولان ... ومغزى هذا أنه يتخذ من القضايا السياسية وسيلة ابتزاز لا أكثر من أجل دعم ميزانية شبكة مؤسساته الخدماتية والتربوية والاجتماعية الخاصة باليهود الشرقيين حصراً.

## التطور التاريخي ومجتمع الدارسين في اليشيفاه

من الطبيعي ان يكون الجانب التاريخي لتطور وتعليم الدين اليهودي مرتبطا بزمن ولادة وظهور الدين اليهودي منذ حوالي خمسة الاف عام، وهو أمر مرتبط بماهية ظهور الدين كرسالة وتبشير للبشر، عن طريقها تحدد العلائق وترسم السلوكيات لامة أو لشعب.

في المصادر التاريخية يعود تاريخ وجود الحلقات التعليمية او اليشيفاه إلى ما بعد مرسوم قورش (٥٣٨ ق.ب) وعودة بعض اليهود من بابل، ولكن أهميتها زادت بعد انتشار اليهود ثم بعد هدم الهيكل ٧٠ م لانها أصبحت مركز الحياة اليهودية داخل كل التجمعات سواء في فلسطين أم خارجها .[١٧]

بدأ تأسيس المدارس التلمودية العليا في فلسطين منذ القرن السادس عشر وكانت سفاردية أي لليهود من أبناء الطوائف الشرقية. وفي عام ١٨٤٠، أُسِّست أول مدرسة تلمودية إشكنازية من ابناء الطوائف الغربية. ثم زاد عدد المدارس التلمودية العليا في إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة هجرة اليهود إليها. وتُعتبَر إسرائيل أهم مركز للدرسات الدينية العليا حالياً.[١٨]

حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، لم تكن في أميركا الشمالية

**تعد إسرائيل من أهم مراكز المدارس التلمودية فى العالم، ففيها أكبر عدد من المدارس كما يوجد بها أكبر عدد من الطلبة ، وتشير الاحصاءات الى وجود أزمة حقيقية في عدد الطلاب للعلوم الدينية اليهودية في السنوات الأربع الأخيرة. تشير الأرقام حول أعداد الدارسين للدين اليهودي في اسرائيل إلى أن عددهم في منتصف عام ٢٠٠١ بلغ ٨١ ألف دارس.**

مدارس تلمودية عليا. ولكن، بعد هذا التاريخ، أُسِّست بعض المدارس مثل معهد الدراسات العليا الذي أسسه آرون كوستلر في مدينة ليك وود بولاية نيوجرسي، ونير إسرائيل في بلتيمور. ويجمع طلاب هذه المدارس بين الدراسات الدينية المتخصصة في هذه المدارس والدراسة العامة في الجامعات الأخرى.[١٩]

وقد كتبت مليحة مسلماني ان مصطلح "مجتمع الدارسين" يدل على ظاهرة تفرغ رجال المجتمع الحريدي ، على الاقل الشبان منهم (لغاية المرحلة التي يتم فيها اعفاؤهم من الخدمة العسكرية نظرا لعمرهم او عدد اولادهم)، للتعلم في "اليشيفوت". ويعتبر علماء الاجتماع تلك الظاهرة غير طبيعية ولم تكن رائجة في تاريخ اليهود، فمنذ أقدم العصور لم تكرس سوى اقلية ضئيلة من اليهود وقتها لدراسة التوراة، حتى أن افراد تلك الطائفة توجهوا الى العمل في مجالات دينية ليعيلوا انفسهم.

تزايد عدد المنضمين الى اليشيفوت بسبب تأجيل دولة إسرائيل لتجنيد الطلبة في هذه المدارس، وطبقاً للإحصاءات الحكومية، كان عدد هؤلاء الطلاب ١٨ ألف طالب في أواخر الثمانينيات.

وتشير المعطيات التي نشرتها وزارة التعليم الإسرائيلية بمناسبة بدء اليهود العام الدراسي الماضي (٢٠٠٦) أن عدد الملتحقين من التلاميذ بمدارس التعليم الديني ازداد بأكثر من ١٣٠٪ خلال العقد الماضي، وارتفع عدد التلاميذ في إطار التعليم الديني من ٤٨ ألفًا عام ١٩٩٠م إلى ١١١ ألفًا عام ٢٠٠٠م .[٢٠] ومن أهم القضايا التي تُثار في إسرائيل، في الوقت الحالي، الإعفاء من التجنيد الذي يتمتع به طلبة المدارس التلمودية العليا بناء على قانون طال. وتُعتبَر هذه نقطة احتكاك وتوتر بين القطاعات الدينية والقطاعات اللادينية في الدولة الصهيونية.[٢١]

رغم ذلك تعد إسرائيل من أهم مراكز المدارس التلمودية فى العالم، ففيها أكبر عدد من المدارس كما يوجد بها أكبر عدد من الطلبة ، وتشير الاحصاءات الى وجود أزمة حقيقية في عدد الطلاب للعلوم الدينية اليهودية في السنوات الأربع الأخيرة. تشير الأرقام حول أعداد الدارسين للدين اليهودي في اسرائيل إلى أن عددهم في منتصف عام ٢٠٠١ بلغ ٨١ ألف دارس، بينما في السنوات الأربع المنصرمة انخفض المعدل ليصل عدد الدارسين من ٢٥– ٢٠ ألف طالب ديني جديد دخلوا مدارس اليشيفوت الدينية المختلفة.

يرتبط تقسيم المدارس التلمودية اليوم بشكل اساسي بالافكار والمعتقدات الدينية التي تمثلها اليشيفوت في اسرائيل. حيث ينقسم المتدينون في إسرائيل الى تيارين أساسيين:

١– التيار الديني الأرثوذكسي: وهو التيار الذي توصلت مرجعياته الروحية مع مؤسس الدولة ديفيد بن غوريون إلى اتفاق يقضي باعفاء المنتسبين إليه من طلاب المعاهد والمدارس الدينية من الخدمة العسكرية، والتفرغ لدراسة الدين، مع العلم أن أتباع هذا التيار يشكلون حوالي ١٨٪ من اليهود في إسرائيل.

٢– التيار الديني الصهيوني: وهو التيار الذي اعتبر نفسه منذ البداية جزءاً لا يتجزأ من الدولة، واعتبرت مرجعياته الروحية الخدمة العسكرية ليس مجرد واجب تقتضيه المواطنة، بل فريضة دينية يتوجب القيام بها على أكمل وجه.

فهذه التيارات تجسد وعبر معاهد التعليم التلمودية التابعة لها مدى التزامها بسيادة القانون والدولة، ومن جهة اخرى بمدى التزامها بالقوانين التلمودية وفق وجهة نظر التيار الديني الصهيوني والتيار الديني الارثوذكسي. فأواخر السبعينيات توصلت المرجعيات الروحية للتيار الديني الصهيوني الى اتفاق مع هيئة أركان الجيش الإسرائيلي تم الاتفاق بموجبه على أن تتولى المدارس الدينية التابعة لهذا التيار مهمة اعداد الشباب الذين ينتمون لتيار الصهيونية الدينية لمرحلة الجيش . ومن ابرز اليشيفوت الخاصة بهذا التيار يشيفوت هسدير التي تدمج التعليم التلمودي بالاعداد للخدمة العسكرية، وتعد يشيفاة بني ديفيد احدى هذه المسارات، حيث تخرج منها أكثر من ثلاثة الاف جندي، ويؤدي اكثر من خمسين بالمائة منهم مهمات

**بالاضافة الى ذلك هناك اليشيفوت في المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية، ومنها العشرات، ابرزها يشيفاة بيت ايل والتي اقيمت في العام ١٩٨٧، ويبلغ عدد طلابها المئات في كل عام، وهي ذات توجه صهيوني ديني.**

قيادية، ويحملون رتباً عليا .[٢٢]

يبلغ عدد هذه المدارس اثنين واربعين مدرسة، وترفع شعار أن " الخدمة العسكرية والروح القتالية مهمة جماعية يفرضها الدين بهدف قيادة المشروع الصهيوني " . من هنا لا ينظر أي طالب في هذه المدارس خلال تأديته الخدمة العسكرية أنه يؤدي خدمة اجبارية تنتهي بعد ثلاث سنوات، بل أن الخدمة بوابة واسعة لممارسة التأثير على مستقبل الدولة وعلى عملية صنع القرار فيها. على الرغم من أن الخدمة العسكرية في إسرائيل اجبارية، إلا أن الانتساب للوحدات المختلفة داخل الجيش أمر اختياري وطوعي. وبفعل التثقيف والتعبئة التي يتعرضون لها داخل " يشيفوت هسدير "، يتجه اتباع التيار الصهيوني الديني يتجهون للانتساب للوحدات المختارة، وسرايا النخبة في الجيش . شيئا فشيئاً أصبح معظم قادة الوحدات المقاتلة من المتدينين .

يتولى الجيش دفع مستحقات التعليم في هذه المدارس، الى جانب دفع رواتب الحاخامات المدرسين فيها، لكن الجيش في الوقت نفسه لا يتدخل في منهاج التعليم غير العسكري، حيث يحظى الحاخام الذي يدير المدرسة بحرية عمل كاملة، فنظام التعليم فيها مستقل تماماً وتتحكم فيه المرجعيات الروحية للتيار الديني الصهيوني دون أي قدر من الرقابة على مضامين مناهج التعليم.

كذلك نشأت يشيفوت تعرض مسارات دمج مواضيع تكنولوجية وعلمية مع التعليم التلمودي وتهدف الى زيادة عدد طلابها عن طريق تشجيعهم للحصول على مهنة مستقبلية يستطيعون من خلالها التوفيق بين دراسة التلمود وبناء حياة اجتماعية مستقلة، ومنها اليشيفاه التكنولوجية والتي تخرج منها الاف الطلاب .[٢٣]

من ابرز اليشيفوت التي تستقطب عشرات الالاف من الطلاب، بسبب عرضها للعديد من المسارات المهنية التي تندمج مع التعليم التلمودي، هي يشيفاة بني عكيفا، التي تضم اربع عشرة يشيفاه في المرحلة الثانوية وتسع اولبنوت (يشيفاه لتعليم البنات) وحوالي الف ومئتي طالب في المسار التحضيري للجيش، والف طالب في المسارات المهنية، وبلغ عدد طلابها في العام ٢٠٠٧ اكثر من عشرة الاف طالب.[٢٤]

بالاضافة الى ذلك هناك اليشيفوت في المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية، ومنها العشرات، ابرزها يشيفاة بيت ايل والتي اقيمت في العام ١٩٨٧، ويبلغ عدد طلابها المئات في كل عام، وهي ذات توجه صهيوني ديني.[٢٥]

معظم المدراء والمعلمين في المدارس الدينية العسكرية من الحاخامات، وبعضهم يعتبر مراجع مهمة للإفتاء، وفتاوى هؤلاء يتم تدريسها في هذه المدارس للطلاب، ويتم التعامل معها بقدسية الكتب المقدسة .[٢٦]

شبكة "معيان" للتعليم الديني التي تدير حوالي ١٢٣ مؤسسة تعليم دينية، يدرس فيها اكثر من ثلاثين الف طالب، ويعمل فيها حوالي ألفي معلم. هذه الشبكة تعد من اضخم مؤسسات التعليم الديني في اسرائيل، وهي تابعة لحركة "شاس" لليهود الشرقيين. ويبلغ عدد طلاب اليشيفوت من جيل اربع وحتى ست سنوات حوالي اثني عشر ألف طالب . ومن جيل ست سنوات وحتى الحادي عشر سبعة عشر ألف طالب، ومن جيل الواحد وعشرين وما فوق يتعلم اكثر من خمسة عشر ألف طالب، منهم ستون بالمائة في مدارس داخلية، وغيرها من انواع اليشيفوت للبنات والمتزوجين، حيث يبلغ المجموع الاجمالي لطلاب اليشيفوت في اسرائيل للعام ٢٠٠٧ حوالي مائتين وعشرة الاف طالب .[٢٧]

## المضامين

يحتلّ التلمود مكانةً مهمة داخل الديانة اليهودية، ويعتبر الركن الأساس فيها. والتلمود هو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية، وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات تتناقلها الألسن، فوصلت شفوياً وسماعاً إلى الناس، وقبلت إلى جانب الشرائع المدوّنة في أسفار موسى الخمسة. وخوفاً من النسيان والضياع، وحفظاً للأقوال والنصوص ولكثرة الشروحات والاجتهادات، فقد دوّنها الحاخامون وشكّلت ما يسمى بالتلمود. ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه الشريعة الشفوية لم تصبح بمنزلة الشريعة المكتوبة إلا بعد

**ان تطور وزيادة نشاط اليشيفوت مرهون بشكل كبير بالاتفاقيات الائتلافية الحكومية في اسرائيل، ففي حين تسعى الاحزاب الدينية لزيادة نفوذها في السلطة عبر الاتفاقيات الحزبية، تعمل من اجل الحفاظ على جمهورها وخاصة في اليشيفوت . ومن هنا يأتي قرار محكمة العدل العليا لتحجيم وممارسة الضغط على الاحزاب الدينية بتطبيق مناهج تدمج علوماً اضافية وخاصة صناعية ومهنية من اجل ادماج الطلاب مستقبلا في سوق العمل الاسرائيلي.**

خراب الهيكل الثاني، أي منذ عام ٧٠م وحتى مطلع القرن السادس، وذلك بيد المعلمين المعروفين بالتنائيم.[٢٨]

توجد نسختان من التلمود: التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي، وقد كتبتا في أوقات متباعدة، واختلفتا في المضمون وأسلوب العرض واللغة، أما التلمود الفلسطيني فيرجع تاريخه إلى منتصف القرن الرابع للميلاد، وكتب على يد الحاخام يوحنان بن نبحة مؤسس أكاديمية طبرية، وهو يكتفي بالشرح أو التحاليل لنص المشناه مع سرد مناقشة غير مطوّلة بين الأحبار، ويعتبر المرجع الفصل في كلٍّ نظرية فقهية ومعاملة تشريعية. وهو يتميز بالاقتضاب.

أما التلمود البابلي فإنه يفتح باب النقاش واسعاً، فلا تنتهي معه إلى قول مرجّح، وهو نتاج الأكاديميات اليهودية في العراق، وتبلغ حجم مادته ثلاثة أضعاف التلمود الفلسطيني، ما جعله يحتل منزلةً رفيعةً ويغدو مرجعاً مهماً لا غنى عنه.[٢٩]

وقد اشتركت في كتابة التلمود أقلام كثيرة، وتعددت مراحل كتابته، فاختلفت في كل مرحلة أساليب جمعه وتصنيفه وتبويبه وتدوينه. ويقسم التلمود إلى قسمين رئيسيين هما المشناه والجمارا. المشناه: هي مجموعة قوانين اليهود السياسية والحقوقية والمدنية والدينية التي تتضّمن القواعد والأحكام بغير نقاش غالباً، والمشناه أشبه ما

مستوطنون في الخليل.

**ولهذا كانت سياسة الدولة وعبر العقود الماضية تحديد نشاط المؤسسات الدينية التي تطمح الى فرض الدين اليهودي على الدولة . ونلاحظ في السنوات الاخيرة وعبر مؤسسات دينية يهودية تبني مسارات تمزج بين تعليم الدين وإكساب مهارات تكنولوجية ومهنية مختلفة مع المحافظة على الصبغة الدينية لهذه المؤسسات المعلمنة مثل اليشيفوت التكنولوجية .**

تكون بالكتاب القانوني أو مصّنف الأحكام الشرعية والفقهية التي تدعى " هالاخاه "، أي المذهب أو المسلك أو الطريق الذي يذكّر بالأحكام والفرائض والتشريعات الواردة في أسفار " الخروج واللاويين والتثنية والاشتراع "، ويبقي الحلال والحرام والطهارة والنجاسة وغيرها ممّا ورد ذكره في التوراة وفسّره الفقهاء اليهود ووضعوا له حدوداً وقيوداً تلائم حاجة العصر الذي كانوا يعيشون فيه. اما الجمارا: كلمة آرامية تعني التتمة أو التكملة أو الدراسة. وهي عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التي وضعها على المشناه (مجموعة من الشروح والتفاسير لأسفار العهد القديم) الفقهاء اليهود، وهي تأخذ عادة شكل أسئلة وأجوبة.

يميز د. وائل القاضي – أستاذ التربية في جامعة النجاح –بين الأهداف المعلنة للتربية في إسرائيل وغير المعلنة. فالمعلن هو ما حددته المادة الثانية من قانون التربية والتعليم الإسرائيلي عام ١٩٥٣م وهي : ( إرساء الأسس في التعليم الابتدائي على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وحب الوطن والإخلاص والولاء للدولة والإعداد الطلائعي والسعي لتشييد مجتمع قائم على الحرية والمساواة والتساهل والتعاون المتبادل وحب الغير من الجنس البشري). أما غير المعلنة وما يسعى إلى تحقيقها فعلاً عبر التعليم الإسرائيلي يمكن تلخيصها بما يلي: تعميق الوعي اليهودي الصهيوني وتربية على قيم القومية اليهودية الصهيونية.[٣٠]

## ميزانيات ومعونات

ان تطور وزيادة نشاط اليشيفوت مرهون بشكل كبير بالاتفاقيات الائتلافية الحكومية في اسرائيل، ففي حين تسعى الاحزاب الدينية لزيادة نفوذها في السلطة عبر الاتفاقيات الحزبية، تعمل من اجل الحفاظ على جمهورها وخاصة في اليشيفوت . ومن هنا يأتي قرار محكمة العدل العليا لتحجيم وممارسة الضغط على الاحزاب الدينية بتطبيق مناهج تدمج علوماً اضافية وخاصة صناعية ومهنية من اجل ادماج الطلاب مستقبلا في سوق العمل الاسرائيلي. فقد كتب طال روزنر ان " محكمة العدل العليا الإسرائيلية قررت وقف تحويل الميزانيات إلى المؤسسات التعليمية الدينية اليهودية، بعد ثلاث سنوات من اليوم، إذا تواصل تدريس التلاميذ مواد تعليمية تقتصر على الأمور الدينية فقط ولا يتعلمون المواضيع الأساسية كما في المدارس الرسمية ".[٣١] وان كانت القضية تمثل صراعا ووجها جديدا لضعف قوة ونفوذ الاحزاب الدينية الا انه يجب ملاحظة الميزانية الطائلة التي تقدمها الحكومة الاسرائيلية للأحزاب والمعاهد الدينية من اجل ضمان الائتلاف الحكومي. حيث يصل حجم الميزانيات التي تضخ للمعاهد الدينية اليهودية إلى ١٨٠ مليون شيكل سنويًا. وبين نص الحكم ادراك المؤسسة الحاكمة في اسرائيل لفقدان سيطرتها على المضامين التي تدرس في اليشيفوت، حيث يؤكد الحكم بوجوب تدخل الدولة في وضع ومراقبة المضامين في اليشيفوت .

## تلخيص

بما ان اسرائيل كدولة تعرف بانها يهودية الديانة، الا ان الواقعية السياسية والمناخ الجيوبوليتي للدولة يحتم عليها تبني أفكار علمانية حتى تستطيع الحفاظ على أمنها واستقرارها في الشرق الأوسط، ومن اجل الحفاظ على مكانتها بين دول العالم، وخاصة الولايات المتحدة الداعم الأساسي لإسرائيل .

يعتبر النقاش حول العلاقة بين الدين والدولة في اسرائيل من اهم ركائز الحكم والمجتمع، فقد احتل هذا النقاش اوساط المفكرين، وشغل أبرعهم على مرّ العصور . ويعد النقاش حول هذا الجانب من ابرز سمات المجتمع الاسرائيلي حتى ايامنا . وتتجسد ماهية الصراع بشكل مباشر بين صفوف الاحزاب والتيارات الدينية والعلمانية منها. ولما كانت اليشيفوت وسيلة لنشر تعاليم الدين اليهودي من ناحية، اصبحت في ايامنا وسيلة تحركها الاحزاب الدينية للضغط على الحكومات لتحقيق اهدافهم ونشر فكرهم الديني .

ولهذا كانت سياسة الدولة وعبر العقود الماضية تحديد نشاط المؤسسات الدينية التي تطمح الى فرض الدين اليهودي على الدولة . ونلاحظ في السنوات الاخيرة وعبر مؤسسات دينية يهودية تبني مسارات تمزج بين تعليم الدين وإكساب مهارات تكنولوجية ومهنية مختلفة مع المحافظة على الصبغة الدينية لهذه المؤسسات المعلمنة مثل اليشيفوت التكنولوجية .

تبين الدراسة من ناحية، ادراك المؤسسة الحاكمة في إسرائيل لخطورة تبني فكر ديني يمكن ان يؤجج صراعات عديدة تهدد كيان الدولة، ومن ناحية أخرى دعمها وبميزانيات ضخمة لمعاهد تعليم الدين اليهودي اليشيفوت من اجل الحفاظ على يهودية الدولة وعلمانية الحكم في إسرائيل .

## الهوامش

١ المسيري عبد الوهاب : في الخطاب والمصطلح الصهيوني : دراسة نظرية وتطبيقية، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٨-٢١.

٢ المسيري عبد الوهاب : في الخطاب والمصطلح الصهيوني : دراسة نظرية وتطبيقية، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٨-٢١.

٣ المسيري عبد الوهاب : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء الثالث : اليشيفاه ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ٤٩٥- ٤٩٦.

٤ شاحاك اسرائيل: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود: وطأة ٣٠٠٠ عام . ترجمة رضى سلمان ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ص ١٨-١٩.

٥ نؤور مردخاي : زمن هرتسل وحتى بن غوريون : علامات في تاريخ الصهيونية فترة الاستيطان والدولة ، وزارة الدفاع ، تل ابيب، ١٩٩٦ ، ص ص ٢٨-٢٩.

٦ شيلغ يائير: المتدينون الجدد: نظرة الى مجتمع المتدينين في اسرائيل اليوم ، كيتر ، القدس ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٠٣.

٧ لايفوفيتش يشعياهو: التوراة والشرائع في عصرنا : محاضرات ومقالات ، مساده ، تل ابيب ، ١٩٥٤ ، ص ص ١٠٢-١٠٣.

٨ بيركوفيتش اليعازر: مقالات حول اسس اليهودية ، تحرير ديفيد حزاني ويوسف ليفشتس ، ترجمة ، لزار لاهد ، شاليم ، القدس ، ٢٠٠٤ ، ص ص ٤-٩.

٩ درور يحيزقيل : تجديد الصهيونية ، المكتبة الصهيونية ، القدس ، ١٩٩٧ ، ص ص ٧٧-٨٢ وكذلك ص ص ١٢٤.

١٠ لايفوفيتش يشعياهو: التوراة والشرائع في عصرنا : محاضرات ومقالات ، مساده ، تل ابيب ، ١٩٥٤ ، ص ص ١٠٥-١١٠.

١١ المصدر نفسه، ص ص ١١١-١٣٠.

١٢ لايفوفيتش يشعياهو: الايمان ، التاريخ والقيم : محاضرات ومقالات ، اكدمون ، القدس ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٣٤. وعن اندماج الاحزاب الدينية في البرلمان الاسرائيلي انظر: ص ص ١٨٠.

١٣ كورن داني وبوعز شبيرا: الائتلافات السياسية في اسرائيل ، خمسون سنة ومئة حادثة ، زمورة بيتان ، تل ابيب ، ١٩٩٧ ، ص ص ٧٢-٧٨.

١٤ شيلغ يائير: المتدينون الجدد: نظرة الى مجتمع المتدينين في اسرائيل اليوم ، كيتر ، القدس ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٩٢-٢٢٠.

١٥ درور جدعون: اللعبات السياسية في اسرائيل ، رموت ، جامعة تل ابيب ، ١٩٨٨ ، ص ص ٤٩-٥١.

١٦ عزرائيلي يهودا: جيل الطواقي المشغولة: الثورة السياسية للشباب في المفدال ، افيفيم ، اسرائيل ، ١٩٩٠ ، ص ص ٩٥-٩٧.

١٧ افنهيمر اهارون: اليشيفوت في بابل ، داخل اطاكس عمونئيل محرر: يشيفوت ومدارس تلمودية ، مجموعة مقالات ، زلمان شزار ، الجامعة العبرية في القدس ، ٢٠٠٦ ، ١٩-٣٠.

١٨ المسيري عبد الوهاب : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الجزء الثالث : اليشيفاه ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ٤٩٣.

١٩ شطمفضر شاؤول : صيرورة اليشيفاه اللتوانية ، زلمان شزار ، القدس ، ٢٠٠٥ ، ص ص ٦١.

٢٠ انظر المقال عبر الرابط : http://www.arab2000.net/wnewsDetails.asp?id=26322&cid=13

٢١ شمعون بيريس : انظر مقالته حول تجنيد وضرورة فرض سلطة الدولة على المؤسسات الدينية في اسرائيل . http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-2360275,00.html

٢٢ انظر الالكتروني الخاص بهم : http://www.bneidavid.org/

٢٣ http://www.tik-tak.co.il/web/index.asp?codeClient=251

٢٤ http://www.moreshet.co.il/mercaz/frame-e.htm

٢٥ انظر الرابط: http://www.yeshiva.org.il/

٢٦ موقع لعشرات اليشيفوت في اسرائيل وذات التوجهات المختلفة . http://www..yeshiva.org.il/toraNeto/yeshivot2.asp

٢٧ شاحر ايلان : هحرديم باعم – محدود الضمان-: الميزانيات ، التهرب من الخدمة العسكرية ومخافة القانون ، القدس ، ٢٠٠١ ، ص ص ٢٢-٣٥.

٢٨ المسيري عبد الوهاب : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الجزء الثالث : اليشيفاه ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ٤٩٥- ٤٩٦.

٢٩ شطمفضر شاؤول : صيرورة اليشيفاه واللتوانية ، زلمان شزار ، القدس ، ٢٠٠٥ ، ص ص ٩٩-١٠٨.

٣٠ http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=77&artid=1495

٣١ http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3018927,00.html